موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جـــورج حبيب بباوي

محاضرات في تجسد الكلمة

للقديس أثناسيوس الرسولي

المحاضرة التاسعة

www.coptology.com

Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

محاضرات في تجسد الكلمة

للقديس أثناسيوس الرسولي

المحاضرة التاسعة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٠

www.coptology.org

جدول المحتويات

العقيدة والتاريخ..... ٤
ما غاب من وعي العصر الوسيط الأوروبي، والعصر الوسيط القبطي ٨
أولاً: ما غاب من العصر الوسيط الأوربي: ٨
ثانياً: ما كان سائداً في كنيسة الإسكندرية في زمن القديس أثناسيوس: ٩
ثالثاً: ما غاب عن لاهوت العصر الوسيط، وأكَّده التسليم الرسولي في كنيسة الاسكندرية: ١١
الرب يسوع وتقدمة ذاته للموت: ١٦
القيامة العامة: ١٩
الشفيع لدى الآب: ١٩
الخلاصة: ٢١
إلوهية رئيس الكهنة يسوع المسيح ٢٦
الأسرار في كتابات القديس أثناسيوس..... ٢٨
عدم فاعلية معمودية الأريوسيين: ٢٨
الأسرار تسليم سري لا يُعلن للموعوظين: ٢٩
مبنى الكنيسة من الداخل: ٢٩
الانضمام إلى الكنيسة في أسرار الإنضمام: ٢٩

بذل جسده للموت وقدَّمه للآب

– ١ –

العقيدة والتاريخ

من الأخطاء الشائعة والعامة، خطأُ قطع عبارةٍ أو أكثر من سياق شرحٍ دقيقٍ، بغرض البحث عن عبارة أو كلمة تؤيد فكرةً لم يعرفها المؤلف نفسه، بل ولا حتى العصر الذي عاش فيه المؤلف.

والأكثر من ذلك، إنْ يفقد ما يُكتب في القرن العشرين صلته بالقرن الرابع الميلادي؛ إذا تجاهل كُتَّاب القرن العشرين "تاريخ عقائد المسيحية". فبمناسبة التصدي بالشرح للتعليم المسيحي الخاص بعقيدة التجسد، نجد أنه بين أنسلم رئيس أساقفة كانتربري في القرن الثاني عشر الميلادي (١٠٣٣ – ١١٠٩)، والقديس أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية (٢٩٦ – ٣٧٣) في القرن الرابع الميلادي ما يقرب من ألف سنة تقريباً، إضافةً إلى اختلاف اللغة، والبيئة الثقافية، وهدف الكتابة، ثم البقاء والحركة في إطار التسليم الكنسي، لا سيما وأن القديس اثناسيوس كان يخوض أكبر صراع في التاريخ الكنسي، وهو مواجهة الأريوسية التي جاءت بأول محاولة فلسفية شعبية لإعادة شرح التعليم المسيحي ابتداءً من الله لكي تصل إلى الإنسان نفسه، أي إنسان الثقافة والحضارة الرومانية – اليونانية الذي يرى في الإمبراطورية الرومانية والنظام القانوني والعسكري أفضل وضع يصل إليه الإنسان، حيث يجلس على قمة هرم النظام، الإمبراطور الروماني وتخضع كل أقاليم وولايات الامبراطورية إلى "السلام الروماني – Pax Romana".

هذا الإنسان لا يحتاج إلى إلهٍ مخلِّصٍ يشارك الإنسان وجوده ومحنته الكبرى، أي الموت، ويُشرك الإنسان في حياته الإلهية الفائقة. فمثل هذا التعليم يدمِّر النظام الروماني – اليوناني ويقوِّض كل معايير الحياة القديمة، ولذلك كانت الأريوسية ولا تزال تظهر تحت أسماء أخرى مثل شهود يهوه، تحاول العودة إلى الوثنية وإلى الخلاص بالمعرفة، وهي الدعوة التي سبقت الأريوسية ربما بما يقرب من ٣٠٠ سنة. فقد مزجت فيها الدعوة الغنوصية بين المذاهب الصوفية والتعليم الفلسفي، لا سيما الافلاطونية وبعض تعليم العهد الجديد، وبالأخص من عند القديس بولس، وصارت أكبر أخطار القرون الثلاثة الأولى (كتب القديس ايريناوس ضد الغنوصية)، لكي تنحسر بعد ذلك وتخرج منها الأريوسية. هذا ما عرضه معلمنا العظيم أثناسيوس في تاريخ الأريوسية، والمقالات الأربع ضد الأريوسيين.

فإذا كانت الغنوصية قد قسَّمت العالم، والله نفسه إلى خير وشر، وبدأ التقسيم بالله وانتهى بالانسان، فقد جاءت الأريوسية لكي تفصل وتُقسِّم الثالوث نفسه، ويصبح للآب الإلوهة الكاملة الذي يعطي للابن إلوهةً مخلوقةً، ومن ثَمَّ يمتد خط التقسيم ليشمل إلى جوار الله، النعمة والسرائر، لا سيما المعمودية.

هنا بالذات يظهر لنا أن القديس أثناسيوس يحيا في وسط صراع ثقافي ولاهوتي يفرض عليه أن يتكلم عن الله وعن الحياة الالهية بكل ما يعرف من التعليم، وألاَّ يقع أسيراً للتعليم الغنوسي، ولا ينساق وراء المذاهب الفلسفية، لا سيما "ضلال الأمم في عبادة الأوثان" (تجسد الكلمة ١: ١)، ولذلك لم يكن شرح عقيدة الخلق من العدم تبديداً للوقت أو الجهد، فهو يؤكد: أنه "يليق بنا أولاً شرح خلقة الكون كله والله خالقه" (تجسد الكلمة ١: ٤)؛ وذلك لكي يدرك كل مَن يقرأ أن "تجديد الخليقة، تم بواسطة الكلمة الذي هو خالق الخليقة في البدء" (تجسد الكلمة ١: ٤). فالكلمة الخالق هو الكلمة المخلِّص، وكلا الخلق والخلاص لهما مصدرٌ واحد، وهو محبة البشر، وهي

بالتحديد محبة الثالوث.

لعل أهم ما جاء به القديس أثناسيوس هو **أن النعمة سبقت سقوط الإنسان**، وقد تمثلت هذه النعمة في:

- نعمة الخلق من العدم.
- نعمة الصورة الإلهية (تجسد الكلمة ٣: ٣).

ولعل ما يجب أن يستقر في إدراكنا إضافةً إلى ما سبق، هو **أن النعمة سبقت الوصية**، ولذلك كان تجديد الخليقة هو إعادتها إلى النعمة، ولكن هذه المرة ليست نعمة الخلق ونعمة الصورة، بل نعمة القيامة وعدم الموت. والنعمة الأولى – إذا جاز لنا الترقيم – ليست مثل النعمة الجديدة؛ فالنعمة الأولى حسب تعبير أثناسيوس: "ولكن لعلمه (الله) أيضاً أن إرادة البشر يمكن أن تميل إلى أحد الاتجاهين (الخير والشر)، سبق فأمَّن النعمة المعطاة لهم بوصية ومكان" (تجسد الكلمة ٣: ٣).

لكن التجديد (أي النعمة الثانية) جاء "بنعمة القيامة" الثابتة، لا بوصية، بل بالكلمة نفسه "وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم كما تُبيد النارُ القشَّ" (تجسد الكلمة ٨: ٣). فقد منعت "نعمة القيامة" الفساد من أن يسري في جميع البشر" (تجسد الكلمة ٩: ١). هنا لم تكن النعمة مؤمَّنة، أي ثابتة بالوصية، بل مؤمَّنة وثابتة في المسيح، الذي ثباته في شخصه الذي يجعله "فوق الجميع" (تجسد الكلمة ٧: ٥ – ٩: ١).

كانت الأريوسية في اشكالها المتطورة قديماً وحديثاً هي دعوة إلى السلوك الأخلاقي الفاضل دون شركة في حياة الله، ودون الحاجة إلى الوسيط الإلهي الذي يعطي جرعة حياة عدم الموت كشركة في كيانه الإلهي مصدر النعمة، وكيانه الإلهي المتجسد مُعلِن وواهب النعمة، وهو الكيان الواحد للرب الواحد المساوي، والواحد مع الآب في ذات الجوهر.

وما نلفت النظر إليه هنا هو أن تأكيد إلوهية المخلص وتجسُّده ضد الغنوصية،

ثم بعد ذلك ضد الأريوسية، لم يكن اختلافاً حول تفسير نصوص وكلمات العهدين القديم والجديد. تلك رؤيةُ مَن يظن أن أثناسيوس وأريوس، ومن قبله إيرينيؤس وقادة شيع الغنوسية هم جماعة يجلسون حول كتابٍ يتداولون في معاني كلماته. هذا ينطبق على مَن يعمل في الإعلام أو الصحافة، والتدريس بكل درجاته، لكن الرؤية الحقيقية التي عجز كلٌ مِن الشيخ أبو زهرة، ود. رأفت عبد الحميد، ثم أخيراً د. يوسف زيدان[١] عن إدراكها هي:

* أن هناك جماعة تحيا حسب إيمانٍ مُعلن في صلواتها واجتماعاتها. جماعة خرجت أولاً من قلب اليهودية ولأسباب محددة، لم تكن هذه الأسباب مجرد ممارسات مثل الختان، والتمييز بين الطعام الطاهر والآخر النجس، بل كانت الايمان بيسوع الناصري الحي القائم من بين الأموات، المسيح الذي فيه تحققت كل نبوات الأنبياء في العهد القديم، والذي فيه وصل الإنسان إلى غاية خلقه.

* لقد جاء يسوع، وأسَّس العهد الجديد، ومعه أسَّس الكنيسة، وفي الكنيسة وُلِدَت وتكوَّنت أسفار العهد الجديد لكي تُقرأ في اجتماعات الكنيسة، في الليتورجية. هذه الأسفار تدور حول محور واحد هو: العلاقة الجديدة بين الله والإنسانية.

* هكذا صار شخص المسيح يسوع هو محور وسبب انفصال الكنيسة عن المجمع اليهودي، لا سيما وأن قيامة الرب يسوع من الأموات أعطت علاقة جديدة للإنسان في المسيح يسوع[٢].

---

(١) من المفارقات العجيبة أن عنوان الكتاب الذي كتبه الدكتور زيدان أخيراً هو "اللاهوت العربي"، بينما كلمة "لاهوت" ليست عربية، فهي لم ترد في القرآن ولا في السنة ولا في كتب شرح وتفسير القرآن، وهي كلمة آرامية – سريانية – وأصلها يوناني. ولذلك لا يوجد في الإسلام "لاهوت"، بل "علم الكلام"، وهو فرع يختلف تماماً عن اللاهوت المسيحي؛ لأن الإسلام لا يقبل سكنى الله في الإنسان، وهي الجريمة التي بسببها صُلب الحلاج.

يمكن للقارئ مراجعة قراءة نقدية من جزئين لكتاب اللاهوت العربي، منشورة على موقع: www.coptology.com.

(٢) سوف نعود إلى هذا الموضوع في دراسة موسعة عن الخلفية الثقافية للأريوسية، وحقيقة الصراع في القرن الرابع ضد الأريوسية في محاضراتنا عن الرد على الأريوسيين للقديس أثناسيوس، وهي قيد الإعداد.

-٢-

ما غاب من وعي العصر الوسيط الأوروبي، والعصر الوسيط القبطي

عندما نشر أُستاذنا السابق *R. W. Southern* دراسته عن القديس أنسلم بعنوان: *St. Anselm: A Portrait in a Landscape* الطبعة الأولى ١٩٩٠ – الناشر جامعة كمبردج. فقد حرص على شرح كافة الجوانب الفكرية والفلسفية السائدة في زمن أنسلم. ثم نشر بعد ذلك دراسته عن مكونات العصر الوسيط، وقد جاءت هذه الدراسة ضمن سلسلة من الدراسات الأخرى لبعض الأساتذة في جامعات أوروبا، وُضِعَت لتقييم التطور الفكري والإنساني الذي أدَّى إلى ظهور النهضة الأوروبية التي وُلِدَت معها حركة الإصلاح الأوربي، ثم بعد ذلك حركة التنوير.

أولاً: ما غاب من العصر الوسيط الأوروبي:

١– الوحدة العضوية بين عقيدة الثالوث، وكبرى العقائد الأخرى مثل سُكنى الروح القدس وعمله في الإنسان، والكنيسة جسد المسيح، وحياة الدهر الآتي.

٢– اختبار المحبة الالهية الثالوثية في السرائر المقدسة: المعمودية – المسحة – الإفخارستيا.

٣– ارتباط الحياة المستيكية بالتعليم اللاهوتي الخاص بالثالوث، والتجسد والصلب والقيامة، وإلوهية الرب يسوع، وإلوهية الروح القدس، وبذلك تحوَّلت

المسيحية إلى دعوة للسلوك الأخلاقي الجيِّد لنوال الرضى الإلهي، ولذلك وُلِدت مع هذا التحول فكرة تحولت بدورها إلى ممارسة، ألا وهي: العقوبة الكنيسة لمحو الذنوب، وإذا لم تكمل هذه العقوبة هنا على الأرض، كان لابد أن تتم في المطهر. وعندما تطورت فكرة السلطان البابوي، أصبح في قدرة من يملك المال أن يشتري "صك غفران".

ثانياً: ما كان سائداً في كنيسة الإسكندرية في زمن القديس أثناسيوس:

١- لم يأت القديس أثناسيوس من فراغ، بل جاء من كنيسة لها مدرسة لاهوتية، وقانون إيمان، ومجمع أساقفة وتسليم رسولي. فهو لا يكتب من فراغ يملئه التصور الشخصي، بل هو يقتبس من كتابات أوريجينوس، وديونيسيوس الأريوباغي. ففي رسائله إلى سرابيون يشير إلى معرفته بمؤلفات ثيئوجنستوس وأوريجينوس. ولذلك لم يدرك الذين هاجموا القديس اثناسيوس أنه حَرِصَ على إبراز "الشرح الكنسي للأسفار" (المقالة الأولى ضد الأريوسيين: ٤٣).

كما أكَّد أثناسيوس على أن المسيحية تسليم، وأن الهراطقة يحملون أسماء مؤسسي مذهبهم (المقالة الأولى ضد الأريوسيين: ٢، ٣)، بينما الذين يؤمنون بالمسيح هم "مسيحيون" (المرجع السابق).

٢- إن قانون الإيمان يشرح الكتاب المقدس، وليس العكس. فالأساس الرسولي هو أن "الكنيسة تمارس ما تصلي لأجله، وتصلي ما تمارسه"، وهي كلمات القديس إيرينيؤس (حوالي ١٩٠ – راجع مقدمة ضد الهرطقات ٣: ١٣).

فالممارسة الكنسية والحياة الليتورجية تشرح الإيمان، والإيمان يشرح الأسفار، لأن الحياة الليتورجية ليست مجرد صلاة عابرة مثل الصلوات الفردية الخاصة، وهي أيضاً ليست مجرد صلاة الجماعة. هذه فكرة طائشة ساذجة لا ترى مكونات أو جوهر

الصلاة في المسيحية الأرثوذكسية؛ لأن المسيحية الأرثوذكسية هي صلاةُ من يشترك في الحياة الإلهية، صلاةُ من نال التبني في يسوع المسيح ابن الآب بالروح القدس، صلاةُ انسكاب حياة يسوع نفسه فينا وتَحَوُّلنا نحن إليه، وليس تحوُّله هو (أي المسيح) فينا إلى حياة آدمية تبلى وتموت، بل تَحَوُّلنا نحن إلى حياة عدم الموت أو الحياة الأبدية. هذا ما تقدِّمه الليتورجية وتعبِّر عنه، ليس بكلمات الصلوات فقط؛ لأن هذه الصلوات ترتكن إلى ما قد سبقها من:

أ– استعلان الثالوث.

ب– عطية الشركة في الحياة الإلهية.

ج– عطية الشركة في يسوع المسيح نفسه، وبالروح القدس.

وكما سبقت النعمة الوصية في الخلق، هكذا سبقت الاستعلانات والعطايا هبة الله المعلنة والمعطاة في الصلوات، والتي تنقلها الصلوات عن الثالوث ومن الثالوث؛ لكي نبقى في شركة الثالوث.

٣– كان الاعتقاد الراسخ في كنيسة الإسكندرية هو أن يسوع ابن الآب أعلن الله الآب لنا. هذا الموضوع بالذات هو أول أهداف التجسد، وقد شرحه العلامة أوريجينوس في كتاب المبادئ، ثم في العظات على إنجيل متى وإنجيل يوحنا بالذات، وهو أيضاً شرح القديس اثناسيوس في تجسد الكلمة، وهو ما سبق وأكَّدناه في المحاضرات السابقة.

فالإعلان عن أبوة الله الآب للابن، ثم لنا، تجعل من التجسد والصلب والقيامة، كمال هذا الإعلان، فهي تعبير عن محبة الله للإنسانية، محبة الآب الذي أرسل ابنه الوحيد. ولذلك، وعلى الرغم من أن هذا موضوع خاص يقع خارج إطار المحاضرات السابقة، وهذه المحاضرة بالذات، إلاَّ أننا لا نستطيع أن نهمل تأكيد التعليم الرسولي الذي تمسَّكت به كنيسة الرسل في الإسكندرية، **وهو أن الخلق أكمله**

الخلاص، وأن الكلمة Logos مُعلِن الآب هو ذاته الذي جاء من عند الآب لكي يكون – حسب تعبير الرسول يوحنا وتأكيد القديس اثناسيوس – "شفيعاً عن الكل لدى الآب" (تجسد الكلمة ٧: ٥). هذه الشفاعة أو الوساطة مصدرها أو أساسها هو "قدرة الكلمة على أن يُعيد خلق كل شيء" (تجسد الكلمة ٧: ٥)، وهي قدرة الخالق الذي به خلق الآبُ كل الأشياء، وهو ذاته، أي الآب الذي أعطى الانسانية "نعمة اشتراكهم في الكلمة" (تجسد الكلمة ٣: ٣)؛ لكي بهذه النعمة، تصل الإنسانية إلى كمال الخلق، أي غاية خلق الإنسان، أي خلقه "على صورة الله الكائن" (تجسد الكلمة ٤: ٦)، وهي إمكانية أن يعيش الإنسان حياةً إنسانيةً متألِّهةً "أن يعيش كالله" (تجسد الكلمة ٥: ١).

ثالثاً: ما غاب عن لاهوت العصر الوسيط، وأكَّده التسليم الرسولي في كنيسة الاسكندرية:

أولاً: لم يكن التجسد علاجاً للسقوط وحده؛ لأن "الخطية" ليست هي المشكلة الحقيقية، بل المشكلة الحقيقية هي الموت والفساد الذي استعبد الإنسان. لقد جاءت الخطية بالموت (راجع رو ٥: ١٢)، وبدخول الموت إلى العالم بحسد إبليس، واستعباد الإنسان للموت، كان من الضروري أن يُبطَل الموت وأن يُباد، وبذلك تصبح الخطية عاجزة عن أن تميت الإنسان "اسمك القدوس هو الذي نقوله؛ لكي تحيا نفوسنا بروحك القدوس، ولا يقوى علينا نحن عبيدك موت الخطية". لذلك كان علاج مشكلة الموت هو نفسه علاج مشكلة الخطية، ليس فقط لأن الخطية جاءت بالموت، بل لأنه كان يجب قتل الموت أيضاً، وهو ما عبَّر عنه القديس أثناسيوس بقوله: "أمات الموت" (تجسد الكلمة ٣٠: ٢).

لكن في ظل سيادة لاهوت العصر الوسيط، عاشت أجيالٌ في مصر على

محورية **الفداء من الخطية**، وصارت الخطية هي كل شيء، وأصبح الغفران هو أهم ما أعطاه المسيح للإنسانية. وهكذا سار عددٌ كبير وراء لاهوت العصر الوسيط الذي دخل الكتابات القبطية من خلال كُتب عوض سمعان، وكتاب علم اللاهوت للكنيسة الإنجيلية، وشروح الأسفار لرعاة الكنائس غير الأرثوذكسية، وكانت الخاتمة في محاضرات اللاهوت النظري للأب أوجين دي بليس.

ثانياً: يُسبب كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس صدمة قاسية لكل مَن لم يدرس العلاقة العضوية بين الخطية والموت. فالخطية أشبه بالكائن الطفيلي الذي لا يقدر على الحياة الخاصة، فيحاول أن يجد "العائل" الذي يمده بأسباب الوجود والتكاثر. فإذا قُتل العائل، قتل الكائن الطفيلي. لو قُتلت قواقع النيل، لماتت البلهارسيا. لو قُتل عائل الخطية، أي الموت، لماتت الخطية وفقدت القدرة على البقاء.

ولكن لم يدرك الذين شرحوا الخطية وتكلموا عنها أكثر من أي موضوع آخر، أن الحياة النسكية القبطية التي تعلِّم بـــ"الموت عن العالم"، هي منهج روحي يخلع الخلود المزيف الذي دخل الكيان الإنساني، وجعل الإنسان يظن أنه "ذاتي الحياة"، فأصبحت هذه الرؤيا المزيفة هي سبب الكراهية والبغضة والشجار والسلوك الجنسي الشرير، بل العدوان بكل ما نراه من بشاعة في جرائم فردية وجماعية.

لقد قلنا مع رسول الرب يسوع إن الخطية جاءت بالموت، ولكن الموت نفسه تحول إلى عائل لكل الخطايا؛ لأن الموت خلق في الإنسان البحث الدائم عن الخلود، حتى وإن كان على حساب حياة الآخرين بقتل الآخر لكي يحيا هو، والموت أيضاً هو الذي أدخل الإفراط الجنسي في شهوة البقاء والاستمرار في الوجود.

إن الدراسة المتأنية لرسائل القديس بولس، ثم كتاب تجسد الكلمة تُؤكد أن المسيح له المجد قهر الموت على الصليب. وما يجب ملاحظته بكل دقة هو أن الأناجيل الأربعة ورسائل القديس بولس لم تكتفِ أبداً بذكر أن موت الرب كان لغفران

الخطايا، دون أن تتعرض لنعمة الحياة الأبدية، بل على العكس، ولذلك نجد القديس أثناسيوس وقد اتبع ذات المنهج، يقول: "وكما يحدث حينما يهزم ملكٌ حقيقيٌ طاغيةً ويربط يديه ورجليه، فحينئذٍ يهزأ به كل العابرين ... هكذا الموت أيضاً إذ قد هزمه المخلِّص وشهَّرَ به على الصليب، وربط يديه ورجليه، فإن جميع الذين هم في المسيح، إذ يعبرون عليه، يدوسونه" (تجسد الكلمة ٢٧: ٤). "هذا دليلٌ واضحٌ على أن الموت قد أُبيد، وأن الصليب قد صار هو الغلبة عليه، وأن الموت لم يعد له سلطانٌ بالمرة، بل قد مات حقاً" (تجسد الكلمة ٢٧: ١). فالصليب هو "علامة النصرة على الموت" (تجسد الكلمة ٢٤: ٤)؛ لأن الرب هو مثل مصارع نبيل ماهر شجاع لم يختَر خصمه، بل ترك الموت يأتي إليه على الصليب (راجع تجسد الكلمة ٢٤: ٣). لقد تعقَّب الربُ الموتَ حتى قضى عليه وأباده (راجع تجسد الكلمة ٢٢: ١).

وعندما يقول أثناسيوس إن الرب لم يأتِ لكي "يتمم موته هو، بل موت البشر" (تجسد الكلمة ٢٢: ٣)، يصبح من المؤكد أن الصراع على الصليب كان مع قوة الخطية وهي الموت، ومع الوجود الانساني المزيَّف الذي يظن أن الشَّرَ حياةٌ، في حين أن الشَّرَ موتٌ، ولذلك يكتب القديس أثناسيوس في أكثر من فصل مؤكِّداً أن الرب قابلَ الموت و لم يقابل الخطية[١].

فعندما يقول القديس أثناسيوس: "إن موت الجميع قد تم في جسد الرب" (تجسد الكلمة ٢٠: ٥ – راجع ٨: ٤)، لم يكن يتكلم عن خطية أو خطايا الجميع، فهذا ما لم يرد حتى في الأسفار المقدسة.

ولكني أعرف أن التنازل ليس سهلاً عما ساد عندنا من تعليم لفترة طويلة، فقد جاء عصر الأنبا شنودة الثالث لكي يبرز موضوع الخطية بشكل غير مسبوق أو معروف من قبل، فصارت الخطية هي محور كل شيء دون إدراك أن عبارات الرسول

---

(١) راجع على سبيل المثال تجسد الكلمة ٩: ١ – ٩: ٤ – ١٠: ١ – ١٠: ٥ – ١٣: ٩ – ٢٠: ٦ – ٢١: ٢ – ٢٤: ٤ – ٣٠: ٢.

بولس نفسه تؤكد على الموت، فيقول:

"دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ،
وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ".

(رو ٥: ١٢).

ويقول الرسول أيضاً:

"مَلَكَ الْمَوْتُ،...
بِخَطِيَّةِ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ،
بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ،
مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ".

(رو ٥: ١٤، ١٥، ١٧، ٢١).

لقد جاء المسيح مخلصنا لكي يحمل خطية العالم (يوحنا ١: ٢٩)، وخطية العالم هي الموت؛ لأن الرب نفسه يقول: "تَمُوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ" (يوحنا ٨: ٢١) ويكرر الرب قوله: "أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. فَقُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ" (يوحنا ٨: ٢٣ – ٢٤). وعندما يقول الرسول عن الرب نفسه: "لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ" (رو ٦: ١٠)، فهو يعني أن الرب البريء والذي بلا خطية قد مات، والموت وهو الحكم قد قبله، ولولا براءة وقداسة الرب لما استطاع أن يواجه الموت. فالقدوس يموت حراً، بينما الخاطئ يموت قسراً تحت الحكم. القدوس يقدِّم ذاته للموت، فلا يجد الموت فيه منفذاً، ولذلك مات مرةً واحدة (راجع رو ٦: ١٠). وقبول الموت هو قبولٌ "لنهاية الحياة"، ولذلك فإن مُلك الموت ومُلك الخطية هو مُلك واحد (راجع رو ٥: ٢١ – ٦: ١٢)، وأمَّا تحول الإنسان من مُلك الخطية وهو مُلك الموت إلى ما يحدده الرسول وما أعلنه الرب يسوع نفسه في (يوحنا ٨: ٢١ – ٢٤)، فهو ما يعني أن نصبح "أحياء من الأموات" (رو ٦: ١٣) عندما نقبل أن "نقدِّم ذواتنا لله"، وأعضاء

الجسد، آلات برٍ.

لقد قال الرسول إن أهواء الخطايا التي ينهي عنها الناموس تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت (رو ٧: ٥)، وعندما يقول الرسول: "أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ" (١ كو ١٥: ٥٦)، فإن أي إنسان يشعر بوخز هذه الشوكة أي شوكة الموت، يعرف أنها أهواء الخطية التي تعمل في أعضائنا (رو ٧: ٥)[١].

ونلاحظ هنا أن الرسول لم يفصل بين الموت والخطية على النحو الذي جرى عندنا؛ بقصد تزييف رسالة الخلاص، وأن تصبح المسيحية دعوة اخلاقية بلا مضمون خاص بكينونة *Being* الإنسان، أو حتى كينونة الثالوث نفسه. وحتى عندما يقول الرسول إن "الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ" (١ كو ١٥: ٣)، فإننا لا يمكن ان نقطع هذه الكلمات من سياق التعليم الرسولي الذي يؤكد ثنائية بين الموت والخطية لا تقبل الفصل في عبارات لا لبس فيها ولا غموض: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ (المسيح)، مُسَامِحاً لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، .." (كولوسي ٢: ١٣). فنحن أمواتٌ، وبالرغم من أنه لا غفران لمن مات، لكن جاءت هبة الحياة ومعها الغفران! هكذا أيضاً يجب أن نقرأ (غلاطية ١: ٤)[٢] لأن الرسول يؤكد في موضعٍ آخر "إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً" (أف ٢: ١)، ثم يعود الرسول بعد ذلك وفي نفس سياق التعليم ويقول: "اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ، بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ" (أف ٢: ٤ – ٥).

ولا تختلف لغة الرسول بطرس، ولا المضمون عن كلمات الرسول بولس لأنه يؤكد أن المسيح مات، و"حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ

---

(١) "لأَنَّهُ لَمَّا كُنَّا فِي الْجَسَدِ كَانَتْ أَهْوَاءُ الْخَطَايَا الَّتِي بِالنَّامُوسِ تَعْمَلُ فِي أَعْضَائِنَا، لِكَيْ نُثْمِرَ لِلْمَوْتِ".

(٢) "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ".

نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ" (١ بطرس ٢: ٢٤)[١]. وكلنا يعلم أنه قد جرى "تحميل" الكثير من المعاني غير الدقيقة حول فعل "حَمَلَ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ"، وكأن الخطايا كانت محفوظة في "مخزن" عند الآب في انتظار يوم الجمعة لكي توضع على رأس الابن، ولكن الحقيقة هي أن "حَمَلَ فِي جَسَدِهِ" تعني "نَقَلَ فِي جَسَدِهِ" حكم الموت. وهنا نجد أنفسنا في مفترق طرق: طريق مزيَّف – يشبه إلى حد كبير التعليم المسيحي الأرثوذكسي – يرى أن غفران الخطايا هو قلب كل شيء، ويهمل التجديد ورد الحياة والبنوة وميراث الملكوت. وطريق الآباء الرسل وآباء الكنيسة الذي يعرف أن المسيح نقل الموت الذي كان يعترض طريق الشركة بين الثالوث والإنسان، وأن بموته تم ما هو جديد:

خلق الإنسان الجديد الواحد (أف ٢: ١٥)،

الذي ليس من نسل إبراهيم، ولا هو من الأمم، بل الإنسان الجديد الرب من السماء.

لقد قتل الربُ العداوةَ بالصليب (راجع أف ٢: ١٦)، و لم يقتله الصليب.

الرب يسوع وتقدمة ذاته للموت:

أولاً: من الأخطاء القاتلة تصوُّر الموت على الصليب على أنه خاص بناسوت الرب وحده، وكأن الناسوت يعمل مستقلاً عن اللاهوت. ولكن الدراسة المتأنية لكتاب تجسد الكلمة، بل ولباقي كتابات القديس أثناسيوس، تُظهر لنا حقيقة مشكلة الإنسان، وهي كما قلنا سابقاً:

* فقدان النعمة (٧: ٤) والكلمة هو وحده الذي يستطيع أن يرد الحياة

---

(١) ما أعظم الفرق بين كلمات الرسول بطرس أننا شفينا بجلدات الرب وكلمات العلامة الكبير الأنبا بيشوي الذي يقول إن "الجلدات الحارقة هي الثمن الذي دفعه المسيح للخطايا". الرسول يتكلم عن الشفاء والمطران عن الانتقام!!

للإنسان (تجسد الكلمة ٧: ٤).

* قدَّم وبذل جسده للموت (٨: ٤)، ولكن هنا بالذات يقول اثناسيوس انها تقدمة للآب:

> "إذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت من الجميع وقدَّمه للآب. كل هذا فعله من أجل الجميع".
> (تجسد الكلمة ٨: ٤).

* البذل للموت هو العمل الشخصي لأقنوم الابن المتجسد؛ لأن "الجميع ماتوا فيه (في المسيح)" (تجسد الكلمة ٨: ٤)، وهو موتُ تحرير الإنسان من حكم الموت؛ لأن "سلطان الموت قد استُنفِذَ في جسد الرب" (تجسد الكلمة ٨: ٤)، فقد "فَقَدَ الموت سلطانه وانتهى، ولذلك جاء إحياء البشر بنعمة القيامة" (تجسد الكلمة ٨: ٤).

* الكلمة لا يموت، ولكنه "قدَّم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لذاته". وهنا يظهر فعل "التقديم"، فهو تقديم "ذبيحة خالية من كل عيب" (تجسد الكلمة ٩: ١)، وهي عبارة تؤكد أن المسيح الرب لم يحمل – بالمعنى المادي – خطايانا في جسده، وإلاَّ كيف يكون خالياً من كل عيب؟ بل حمل "الجسد القابل للموت". ولأنه بلا خطية وقدوس بلا شر، ولأن الذبيحة هي ذبيحة حياة، يؤكد القديس اثناسيوس أنه "رَفَعَ الموتَ فوراً عن جميع نظرائه البشر" (تجسد الكلمة ٩: ١).

* والتقديم والذبيحة هما اللذان جعلا الرب رئيس كهنةٍ، وبالتالي دوام رئاسة كهنوت الرب الثابت الذي لا يزول (عب ٧: ٢٤)؛ لأنه حيٌّ باقٍ إلى الأبد، وغالبٌ للموت، ولذلك "ذبيحة المخلص كانت مرةً واحدةً، وأكملت الكل، وظلَّت أمينةً لأنها باقية على الدوام" (المقالة الثانية ضد الأريوسيين فقرة ٩).

* "الكل مات فيه"، "وهكذا، باتخاذه جسد مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم .. ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات" (تجسد الكلمة ٩: ٢).

كيف مات الكل فيه؟ ولماذا يُعتبر تجسد الرب وصلبه وقيامته بمثابة اتحاد بجميع البشر؟

الذين درسوا القديس اثناسيوس من علماء أفاضل قدَّموا عدة إجابات:

١– حوَّل الرب يسوع الطبيعة الإنسانية فيه هو، أي في أقنومه الإلهي المتجسد، وبذلك صار هذا التحول مثل الخلق هبة عامة تعطى لجميع البشر.

يدعِّم هذا التفسير: الأب بولجاكوف – رومانيدس – مايندورف.

٢– من الأنجليكان *G.W. Lampe* جامع قاموس المصطلحات اليونانية في كتابات آباء الكنيسة، وأستاذ الآباء السابق في جامعة كامبريدج، والذي تبنى مع غيره أن شمولية التجديد مستوحاة من الأفلاطونية المحدثة؛ لأن أثناسيوس يضع تجديد الطبيعة الانسانية بشكل فلسفي كأساس للخلاص. ولكن هذا الرأي أهمل التعليم الخاص بالإنسان في العهد القديم، وشمولية عمل الله في الجنس البشري، وهي أنه في حقيقة الأمر لا يوجد خلاص لفرد، بل الفرد هو عضو في الجماعة الإنسانية، وأن الرسول بولس استقى من العهد القديم نفسه مقارنة آدم بالمسيح يسوع، وأن دمار الإنسانية في آدم كان شاملاً، وتجديد الإنسانية في المسيح هو أيضاً شامل، وهو أمر لا علاقة له بالفلسفة الأفلاطونية أو غيرها من فروع المعرفة الكلاسيكية، ولذلك جاءت دراسة:

Aubrey R. Johnson, The One and the Many in the Israelite conception of God, 1964.

مع دراسته التي صدرت في نفس السنة:

The Vitality of the Individual in the Thought of Ancient Israel

وهي دراسة تؤكد أن الواحد هو في الكل مثل الجنس البشري في آدم الأول، والجنس البشري الجديد في يسوع المسيح، وهو ما يؤكده القديس اثناسيوس في كتاب تجسد الكلمة في الفصول ٩، ١٠، لا سيما اقتباس (١ كو ١٥: ٢١ – ٢٢) "كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١٠ : ٥).

القيامة العامة:

لم يرد هذا التعبير "القيامة العامة" منفرداً بالشكل الذي يروِّج له البعض، بل يذكر القديس اثناسيوس التعليم الرسولي "في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كو ١٥: ٢١-٢٢)، وبالتالي فنحن الآن لا نموت بعد كمدانين (تحت حكم الموت)، بل كأُناسٍ يقومون من الموت ننتظر القيامة العامة للجميع" (١٠: ٥)، فالمسيح هو سبب القيامة، وليس لدينا تعليم عن قيامة عامة بقوة الهية.

الشفيع لدى الآب:

الشفيع أو السفير لدى الآب ورد في كتابات الآباء السابقين على القديس اثناسيوس. هو عمل الابن الكلمة المتجسد (العلامة أوريجينوس: الرد على كلسوس ٨: ٦). وشفاعة المسيح تحمل عدة معاني:

أولاً: الرب هو آدم الأخير أو الثاني الذي يحتوي في كيانه الإلهي المتجسد الجنس البشري كله، وبشكل خاص الذين نالوا التجديد فيه، فهو الذي يعمل دائماً لكي "يأتي بالفاسد إلى عدم فساد" (تجسد الكلمة ٧: ٥)، وأن يعيد خلق الكل (٧: ٥)، ويعطي نعمة القيامة (٩: ١) لقد مات "لأجل الجميع لكي يسترد البشر من الفساد" (١٠: ٣)، فهو الرب نفسه بداية حياة جديدة (١٠: ٥).

ثانياً: الشفيع يُعلن الآب ويعطي معرفة للإنسان الجديد لكي يصبح للحياة الإنسانية شركة بمعرفة الله (راجع فصل ١١ كله). نحن نرى صورة الآب في الكلمة وتصبح هذه الرؤيا "حياة حقيقية" (١١: ٣) لا تدخلها ظلمة جهل الإنسان الساقط بالله، ولا الوقوع في هاوية الوثنية (١١: ٤).

لقد بات من الضروري في مناسبة أخرى أن نفتح موضوع التجديد وعلاقة التجديد بمعرفة الإنسان بالآب، وهو ما لمسه القديس اثناسيوس في اختصار شديد في

(الفصل ١٣ راجع فقرة ٧)، لكننا تحتاج إلى وقفة قصيرة مع الفعل اليوناني الذي يترجم إلى مغفرة الذي ورد في (ف ١٤: ١)؛ لأن الفعل αφεσις يعني release تحرير، أو إطلاق سراح حسبما ورد عند الشهيد يوستينوس (الحوار ١٩: ١)، وهو ما يتم في المعمودية حسب شرح القديس إيرينئوس (ضد الهرطقات ١: ٢١)، وأيضاً القديس ذهبي الفم (عظة ٢٨: ١) على إنجيل يوحنا. ومن الفعل جاءت الكلمة αφετος التي تعني "الحر"، لكن وبكل أسف تغيَّر معنى الفعل إلى "العفو" بسبب تأثير الثقافة السياسية، لا سيما في ظل الأيديولوجية العثمانية والانقطاع وانعدام التواصل مع اللغة اليونانية. والأفعال الأخرى التي وردت في العهد الجديد اليوناني لا تعني "العفو" أو "السماح"، بل "ترك" Let go وهو ذات الفعل الذي ورد في (يوحنا ٢٠: ٢٣)[١]، بل هو طلب الرب على الصليب (لوقا ٢٣: ٣٤ – يعقوب ٥: ١٥). واستخدم العهد الجديد أيضاً الفعل χαριζομαι أي العطاء بكرم، العطاء بزيادة في مواجهة الجحود كما في (لوقا ٧: ٤٢ – ٤٣)، ولذلك يطلب الرسول أن نغفر أي يكون لنا ذات الكرم والجود الذي أظهره الله في يسوع المسيح؛ لأنه غفر حسب اللغة العربية، ولكن حسب الأصل اليوناني لم يكن هذا عفواً بالمعنى الثقافي السائد بل كرماً في ترك:

"Χαριζόμενοι εαυτοις καθώς καί ό Θεός χριστώ εχαρισατο ύμιν".

ولذلك نجد وقع الترجمة العربية غريباً جداً:

"كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ" (الترجمة البيروتية أفسس ٤: ٣٢).

---

(١) راجع أيضاً متى ٦: ١٢ – ١٤: ١٤، ١٥ – ٩: ٢ – ٦ مرقس ٢: ٥ – ١١: ٢٥، ٢٦ – لوقا ٥: ٢٠ – ٧: ٤٧ – ١٧: ٣.

هذا هو عمل الشفيع ليس العفو، بل تحرير الإنسان من الفساد، ورد الصورة والغفران، كما يقول غريغوريوس النيسي في شرح الصلاة الربانية: "إننا نتشبه بالله في الغفران"، وفي عبارات قد تبدو غريبة جداً على جيل عرف عصا الرعاية وأحكام القطع الجائرة:

> "اغفر أنت لهم، والله سوف يؤيد ذلك. لأن الدينونة التي تصدرها على القريب وهي تحت سلطانك سوف تضعك أنت نفسك تحت ذات الدينونة ... ماذا قيل (في هذه الطلبة) فعلاً؟ إن الذين يسعون وراء الصلاح يجدون في الله المثال الذي يتشبهون به حسب كلمات الرسول "تشبهوا بي كما أنا أتشبَّه بالمسيح" (١ كو ٤: ١٦)، فهنا يطلب الرب أن تكون مثالاً صالحاً لله نفسه؛ لأن التدبير يبدو مختلفاً، لأن الصلاح يتحقق بالتشبُّه بالصلاح الإلهي، ولكن هنا نحن نتجاسر ونرجو أن يتشبَّه بنا الله حينما نفعل أمراً صالحاً، وهكذا يمكن أن تقول لله نفسه: أفعل أنت يا الله ما أفعله أنا. تشبَّه بخادمك يا رب الذي هو مجرد شحاذ فقير، بينما أنت ملك الكون. لقد تركت كل ما عليَّ وأنت يا رب لا تطلب ما عليَّ. لقد استجبت لمن طلب مني وأرسلت المدين لي فرحاً، ليتك تفعل نفس الشيء معي" [١].

الخلاصة:

١– ليس الموت شخصاً أو شيئاً يقدم له الرب جسده، بل هو حكمٌ صدر من الثالوث نفسه. صدر من الابن نفسه، وليس من الآب فقط كما شاع في العصر الوسيط. هذه هي كلمات المعلم العظيم الذي لم يُقسِّم الثالوث:

> "إن كان الكلمة مخلوقاً، فكيف يستطيع أن يُبطل حكم الله ويصفح

---

(١) شرح الصلاة الربانية والتطويبات مجلد ١٨ كتابات آباء الكنيسة ترجمة Hilda C. Graff صفحة ٥٦.

عن الخطية وهو .. أمر خاص بالله .. فإن الله قال: "إنك تراب وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩) وبذلك صار البشرُ مائتين.

إذن كيف يمكن في قدرة المخلوقين أن يُبطلوا الخطية[١] فإن الرب ذاته هو الذي أبطلها كما قال هو نفسه: "إن لم يحرركم الابن" (يوحنا ٨: ٣٦)، وبذلك أعلن حقاً أن الابن حرٌ وهو ليس مخلوقاً ولا يحسب ضمن المخلوقات، **بل هو الكلمة الذاتي وصورة جوهر الآب، وهو الذي أصدر الحكم** (تك ٣: ١٩) في البداية، وهو الذي صفح (ترك – حرر) عن الخطايا. وإذ قيل بواسطة الكلمة: "أنت تراب وإلى التراب تعود"، **فإنه فيه هو ذاته قد تحققت الحرية وبه** قد أُبطلت الدينونة".

(المقالة الثانية ضد الأريوسيين فقرة ٦٧).

هكذا حلَّ الربُ قضية الموت وأبطل الدينونة، أو حسب كلمات الرسول: "مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ" (٢ تيمو ١: ١٠).

٢– لقد جرى تزييفٌ معيب في التعليم عن التوبة، ونقل عدد كبير من الذين كتبوا عن التوبة الكثير من مصادر غير مسيحية.

لقد أكد القديس أثناسيوس في الفصل السابع من كتاب تجسد الكلمة إن التوبة عن التعديات (٧: ٢) "لا تقدر أن تغيِّر طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم عن اقتراف الخطية" (٧: ٣)، ثم أكد بعد ذلك في الفصل ٤٤ "إن التجديد بواسطة كلمة هو أمر مستحيل"، وكان على ما يبدو يجيب على اعتراض: "إذا كان الله قد خلق كل الأشياء بكلمة، فلماذا لا يجدد كل الأشياء بكلمة؟" (٤٤: ٣). والاعتراض "معقول"، ولكنه يجد الجواب الذي نحتاج إلى أن نتمعن في دراسته جيداً.

---

(١) لاحظ أن الخطية = الموت = الحكم.

يقول المعلم العظيم ما يلي:

أ- الخلق من العدم كان بواسطة كلمة.

ب- لكن الإنسان المخلوق كان منحدراً إلى الفساد (أي انحلال الوجود) والهلاك.

ج- كان الإنسان محتاجاً إلى أن يأتي الكلمة وأن يستخدم الجسد أداة يعلن فيها عن نفسه.

د- كان الفساد والموت ملتصقين بالكيان الإنساني.

هـ- كان الأمر يحتاج إلى أن تلتصق به الحياة بدلاً من الفساد، حتى كما صار الموت في الجسد، تصير الحياة في داخل الجسد أيضاً (٤٤: ٣ - ٤).

لكن يجب أن ننتبه إلى هذه العبارة بالذات:

> "لو كان الموت خارج الجسد، لكان من الملائم أيضاً أن تصير الحياة خارج الجسد أيضاً. ولكن ما دام الموت قد صار داخل نسيج الجسد، وبوجوده في كيان الجسد، صار الموت سائداً على الجسد، لذلك كان من اللازم أن تصير الحياة داخل نسيج الجسد، حتى إذا لبس الجسد الحياة بدل الموت، فإنه يطرح عنه الفساد".
>
> (تجسد الكلمة ٤٤: ٥).

والسؤال هنا: عن أي جسد كان أثناسيوس العظيم يتكلم؟

والجواب هو من نفس الفقرة، فهو يتكلم عن "جسد الكلمة، ذلك الجسد القابل للموت الذي أخذه الكلمة"، وهو ما سبق واشار إليه سابقاً (راجع على سبيل المثال ٨: ٤ — ٩: ١ "جسداً قابلاً للموت"، و"جسدٌ مماثلٌ لأجسادنا" (٩: ٤، وأيضاً ١٠: ٤).

وعندما يجيب على الاعتراض السابق يقول أيضاً:

> "لهذا السبب كان من الصواب أن يلبس المخلص جسداً؛ لكي إذا

اتحد الجسد بالحياة لا يعود يبقى في الموت كمائت، بل إذ قد لبس عدم الموت، فإنه يقوم ثانيةً، ويظل غير مائت".

(تجسد الكلمة ٤٤: ٦).

لكن الجدير بالاهتمام حقاً هو هذه العبارة:

"إن الموت بحسب طبيعته لم يكن ممكناً أن يظهر إلاَّ في الجسد؛ لذلك لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده، .. الرب هو الحياة".

(تجسد الكلمة ٤٤: ٦).

لأن "كلمة الله .. قد لبس الجسد لكي لا يعود الموت والفساد يرهب الجسد؛ لأنه قد لبس الحياة كثوبٍ، وهكذا أُبيد منه الفساد الذي كان فيه".

(تجسد الكلمة ٤٤: ٨).

كل هذا يضع أمامنا الأساس اللاهوتي الشرقي عن التوبة، فهو مختلف تماماً عما هو سائد عندنا الآن في كتابات معاصرة أخذت من ثقافة غير مسيحية.

أولاً: التوبة لا تجدد الإنسان، وإنما الذي يجدد الإنسان هو الإلتصاق بالمسيح، والتوبة هي البقاء في هذه الشركة.

ثانياً: التوبة عن أعمال الجسد التي توصف بدقة بأنها ميتة (عب ٩: ١٤)؛ لأن التجديد هو للحياة.

ثالثاً: إن الغفران – كما ذكرنا – هو تحرير الإنسان، وحسب التعبير القبطي "فك الأسر" أو حسب اللغة الدارجة "التحليل"، وهو إطلاق السراح من أسر الموت، وهو أسر الخطية. ولعلنا نسمع عبارة الأوشية: "لا يكون موتٌ لعبيدك بل هو انتقال"، وقبلها: "لا يقوى علينا نحن عبيدك موت الخطية". فالتعليم المزيَّف، هو التعليم الذي يريد أن يحرمنا من الشركة في الحياة، أي حياة الكلمة المتجسد نفسه.

رابعاً: لقد كان من الضروري الدفاع عن الشركة في الحياة الإلهية في الثالوث، وعن حلول أقنوم الروح القدس فينا، وعن تناولنا عمانوئيل إلهنا لاهوتاً وجسداً ودماً؛ لأنه "غير منقسم من بعد الاتحاد إلى طبيعتين"؛ فكل هذه هي مياه الحياة، سُكنى المسيح الرب فينا بالروح القدس، حلول روح يسوع فينا للحياة الأبدية، تناولنا جسد ودم الكلمة لكي نشترك في إلوهيته "في مجد قيامته"؛ حتى لا نسقط في مسيحية مزيفة لها شكل المسيحية، بينما هي مجوفة من الداخل؛ لأنها تنكر التجسد رغم اعترافها اللفظي به؛ لأن التجسد لم يغيِّر شيئاً في علاقة الانسان بالله، ولم يكن أساس تجديد الإنسان المائت الذي احتاج إلى إلوهية الكلمة المتجسد، وتنكر صلب المسيح عندما تتحول الرؤيا إلى دفع الثمن لكي لا ننال هزيمة الموت، وتنكر القيامة عندما تبشر بقيامة عامة ليس لها علاقة بقيامة المسيح، ثم تنكر الوهية الروح القدس لأننا لا نشترك في حياة الله نفسه بالروح، بل بمواهب مؤقتة أُعطيت لتدبير الكنيسة في هذا الزمان .. ويبقى الحديث عن هذه المسيحية المزيفة ما نراه ونسمعه ونقرأه، وهو ضد كل ما تصلي الكنيسة وتطلبه؛ لأنها تطلب الحياة الأبدية وميراث الملكوت والتحول إلى شكل المسيح الحي "لنضيء بشكلك المحيي"، ونوال الروح القدس نفسه في المعمودية والميرون والإفخارستيا.

إننا عندما نتناول جسد الرب ودمه، فإننا نتناول جسده الذي مسح بالروح القدس نفسه.

-٣-

إلوهية رئيس الكهنة يسوع المسيح

في إطار الكلام على ذبيحة الابن يجب أن نذكر الكاهن الواحد يسوع المسيح الذي "لبس الجسد لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده" (تجسد الكلمة ٤٤: ٦)، فهو "الحياة" (١٠: ٥ – ٤٤: ٧ – ٨). والعمل الأساسي للكلمة الخالق (٧: ٤) هو تجديد الإنسان (١٤: ٢). لقد جاء لكي يُبطل ناموس الموت (٨: ٤)، فصار جسده حياً بسبب الاتحاد بالكلمة (٩: ١٠). لقد غلب الموت؛ لأنه الحياة الذي جاء لكي يجددنا (١٦: ٥). كان في الجسد، ولكن في تجسده **كان ولا زال يمنح الحياة للكون كله** (١٧: ٢)، فهو "يحيي كل الأشياء؛ لأن كل الأشياء تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها" (١٧: ٦).

هو يضبط كل الأشياء، ولذلك يُوصف بأنه ضابط الكل (راجع تجسد الكلمة ١٨: ١، وعبارة القداس الباسيلي "الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحه الضابط الكل"). فإذا كان الكاهن هو الإله المتجسد الذي جاء لكي يأتي بنا إلى الآب (١٠: ٣)، وهو كخالق يجدِّدنا ويُبطل ناموس الموت (٨: ٤)، فإن حلول الكلمة في الجسد هو حلول دائم. هو "بيننا"، ولكنه هو أيضاً "فينا"، فـــ"الكلمة صار جسداً وحل فينا" (يوحنا ١: ١٤) حسب الأصل اليوناني والترجمة القبطية:

Ⲟⲩⲟϩ ⲡⲓⲥⲁϫⲓ ⲁϥⲉⲣⲟⲩⲥⲁⲣⲝ ⲟⲩⲟϩ ⲁϥϣⲱⲡⲓ ⲛ̀ϧⲣⲏⲓ ⲛ̀ϧⲏⲧⲉⲛ

و"فينا" تعني الإنسانية. كما تعني أن سكناه فينا ليست سكنى خارجية، وهو موضوع وإن كان يحتاج إلى دراسة شاملة، ولكن في الوقت الحاضر نكتفي بالتأكيد

على أن "فينا" تعني:

١– رأس الجسد الكنيسة.

٢– مصدر الحياة لكل من يتحد به.

٣– الشفيع الذي يقدِّمنا للآب في قربان محبته.

٤– الكاهن، الإله المتجسد الذي يقيم خُدَّاماً يخدمون أسرار محبته، وليس شفعاء، ولا مَن يأخذون مكانه، أو يحلون محل خدمته؛ لأن خدمة الرب هي تجديد الإنسانية، وهو العمل الإلهي الذي لا يملكه أي مخلوق.

ملحق

الأسرار
في كتابات القديس أثناسيوس

عدم فاعلية معمودية الأريوسيين:

"أمَّا هؤلاء الأريوسيون، فإنهم يتهورون ويفقدون كمال السر، وأعني المعمودية. لأنه إن كان السر يكمُل باسم الآب والابن، وهم لا يعترفون بآب حقيقي؛ لأنهم ينكرون (الابن) المولود منه، والذي هو واحد معه في الجوهر، وينكرون الابن الحقيقي ويسمُّون لأنفسهم ابناً آخر، إذ انهم يتصورونه في مخيلتهم كمخلوق من العدم، ألا يكون طقس المعمودية الذي يتممونه فارغاً تماماً وعديم الجدوى؟ ...

لأن الأريوسيين لا يعمِّدون باسم الآب والابن، بل باسم خالقٍ ومخلوق ... هكذا فإن المعمودية التي يظنون أنهم يعطونها، تختلف عن (المعمودية) الحقيقية ...

فليس الذي يدعو ويقول يا رب هو الذي يعطي المعمودية، بل هو الذي عندما يدعو الاسم، يكون عنده ايمان مستقيم".

(المقالة الثانية ضد الأريوسيين: ٤٢).

الأسرار تسليم سري لا يُعلن للموعوظين:

"لا يجب أن نعلن الأسرار المقدسة للموعوظين،
بل الأسوأ من ذلك أن تُكشف للوثنيين ..
لأن الرب أمر أن لا تطرح القدسات أمام الكلاب" (متى ٧: ٦)".
(الآباء اليونانيين مجلد ٢٥: ٢٦).

مبنى الكنيسة من الداخل:

"عندما هجم الجنود على الكنيسة، جمعوا المقاعد وكرسي الأسقف والمائدة الخشب والستائر، وكل ما استطاعوا أن يحصلوا عليه وأخرجوه خارجاً وأشعلوا فيه النار أمام الباب في الشارع الكبير".
(تاريخ الأريوسية التي بلا تقوى مجلد ٢٥: ٧٩٣).

الانضمام إلى الكنيسة في أسرار الإنضمام:

"سوف ترون اللاويين، أي الشمامسة وهم يحملون الخبز والكأس، ولكن الخبز والخمر يظل خبزاً وخمراً حتى صلوات الاستدعاء، ولكن بعد أن تقال الصلوات الكبرى العظيمة، يصبح الخبز جسد ربنا يسوع المسيح، والكأس هو دمه. قبل الصلوات والاستدعاء هذا الخبز وهذا الكأس يظل كما هو، ولكن بعد الصلوات الكبرى والاستدعاء المقدس، يحل الكلمة على الخبز والكأس ويصبح الخبز جسده".

(عظة للذين عُمِّدوا في الكنيسة الكبرى التي بناها البابا السكندري، وسُميت باسم البابا ثاؤنا، وردت في الدفاع للإمبراطور قسطنطين فقرة ١٥ مجلد ٢٦: ٣٢٥ – ٣٢٦).